إلى جَميع أصدقائِي على مَواقِع السّوشَل ميديا، وكلِّ من يُتابعُ مَسيرَتي الأدَبيَّة.

الطّبعة الرَقميَّة الأولى، كانون الثاني ٢٠١٨

.

سَألـوني:
لماذا لوحَاتُـك غيرُ مَفهُومَة؟
أجَبتُـهُم:
العالمُ لا مَعنـًى له..
وأنا في رُسومي أصوِّرُ العالم؟!

بابلو بيكاسّو

تحدَّثَ جان جاك روسّو عن كيفيَّة كتابتِهِ لرسائل الحُبّ، فقال:
أبدأ في الكتابَةِ.. ولا أعرفُ ماذا سأكتبُ..
وأنتهي من الكتابَة.. ولا أدري ماذا كتبْت.

ديل كارنيجي

النَّجم رقم واحِد في مأساةِ ١٩ تشرين الأوَّل ٢٠١٥ الاقتصادِيُّ الكبير غَيث الرَّاسي.

ودائمًا..على هامش كلِّ حِكايةٍ.. حكاياتٌ صَغيرَة عابرَة.. ترفدُ الرِّواية الكبيرَة حينًا ثمَّ تنفصلُ عنها بهدوء. وأبطالُ هذه الحكايات الهامشيَّة هامشيّون أيضًا! بعضٌ منهم يَتلاشى في بَحر الرِّوايَةِ الكبيرَة كالأنهار تمامًا، والبعضُ الآخرُ ينحرفُ إلى مكانٍ ما في البَرِّ ليَنتهيَ إلى بُحيرَةٍ أو نَهرٍ آخرَ أكبر منه. الأبطالُ الرَّئيسيُّون في روايَةِ غيث الرَّاسي رافقوه إلى النّهاية، والهامشيُّون تناثروا كأوراقِ الخريفِ وتلاشَوا تحتَ مَمْحاةِ عبَثِ الحيَاةِ المُحيِّر. وفي ليلِ حيَاةِ غيث نَجماتٌ خَمس: روجين آتشي الفاتنة التركيَّة وابنُها منه، وإيميه جَبُّور وابنُها منه كذلك، ثمَّ تلكَ الرِّياضيَّة الماجنة المُثيرَة سابين سماحَه، التي حاولَت أن توقعَه في غرامِها، بالتَّخطيط معَ ابنِ الوزير فِرَاس، وانتَهَتْ إلى الخَيبَة. سابين هذه تزوَّجَت من رياضيٍّ مثلِها في نادي حالات. وأمّا فِرَاس ذو التّاريخ الحافل بالتَّحَرُّشاتِ الفاشلة بالفتيَات، ومَشاكلُه كثيرَة معَهُنّ ومعَ أخيهِ أيضًا الذي يكبُرُه بخمسِ سنوات، فكانَ الصِّدَامُ بينَهُما! وَتركَ هذا الأخيرُ البلَدَ إثرَ حادثةٍ غامضَةٍ

ورَحَلَ إلى إنكلترا. وهو نفسُه ستجمعُهُ الصّدفة في باريس بإيميه، ذاتَ يَوم، ليُخبرَها بأنّه هو من أنقذَها من يدِ أخيه فراس ومَشروعِهِ الفاشِل للايقاعِ بها.. والايقاعِ بينَها وبينَ غيث.

طفل روجين آتشي خَطَفَتْهُ الفلسطينيَّتان العانستَان، بُعيدَ الحادثةِ المشؤُومَة في منزلهما في الشَيَّاح.. ثمَّ انشَقَّتِ الأرضُ وابتلعَتهُما معَ الطفل. الطّفلُ عارضٌ ورُوجين عنصرٌ أساسِيّ في التَتبيلةِ الختاميَّة للحِكاية. وأمّا إيميه جَبُّور وابنُها فلهُما فصولٌ طويلة صاخبَة في هذه الدّراما الشَّبيهَةِ "بآلةِ الزَّمَن" التي تُسافرُ بأبطالِها عبرَ مراحلَ زَمَنيَّةٍ متنقِّلة لتدفَعَهم أخيرًا إلى العَدَم. لقد رَمَى غيث إيميه رَمية مُريعَة! وزَوَّدَها بالجَنين، أو القنبلة المَوقوتَة التي ستنفجرُ في ١٩ تشرين الأوّل، أو "الإرث المُحَرَّم" معَ توقيعٍ بحروفٍ حَمراءَ يُفيد حريَّة التصرُّف بهذا الإرث بالكامل. وإيميه بدَورِها ستتصرَّفُ بحُريَّةٍ مُطلقة بهذا التفويض.

وهناك.. في أميركا.. في ولاية كارولاينا، سيَبدأ غيث الرّاسي حياتَه الجَديدَة معَ زوجتِهِ آنجيلا كينيث مالكةِ شركةٍ عقاريَّة كبيرة. شَعَرَ غيث كأنّه وُلِدَ من جَديد! لقد فتَحَتْ له الحَياة أبوابَ مَجدِها على المَصَاريع. آنجيلا كانتِ الصَّفقَةَ الحُلُم. عيّنَتْ آنجيلا غيث رئيسًا لمجلس إدارة الشّركة، وأظهرَ غيث بدَورِه، وفي مدَّةٍ وَجيزَة، كفاآتٍ إداريَّة ومهاراتٍ تجاريَّة تسويقيَّة. ولم تكدْ تمُرُّ سنة على زَواجِهما حتى راحَ يُخرجُ أرانبَ المشاريع من قبَّعَةِ اللُّعبَةِ الاقتِصَاديَّة، مُرتكزًا على مبادئ سَهلةٍ للغايَة: الشّراءُ على الرَّخيص والبَيعُ على الغالي، استثمارُ الرِّهانات في البورصَة، قروضٌ حَكيمَة من المَصَارف، شِرَاءُ أسهُم في شركاتٍ كبيرة ناجحَة، والدُّخولُ كمُسَاهمٍ رَئيسيٍّ في شَركاتٍ ناميةٍ واعِدَة. هكذا بدأ غيث ببَساطة.. هي الفِطرَةُ فقط وَالشَّجاعَة. وأمّا العلاقة معَ آنجيلا التي تكبرُه بسَنَوات، فكانتِ انطلاقتُها ممتازَة! كانطلاقةِ المَكُّوكِ الفضائِيِّ وهو بعدُ داخلَ الغِلافِ الجَويّ، ولكن معَ مرور الوقت أصبحَت كأنّها خارجَ الزَّمَن.. خارجَ الغلافِ الأرضيّ. لقد اتَّفقا منذ البدايَةِ على عدَمِ الانجاب، هي تُريدُ أن تشبَعَ من شَبَابِها. وآنجيلا ليستَ من النَّوع الطَّامِحِ ماديًّا معَ نَجَاح شَركتِها. بيدَ انَّ غيث صاروخُ

طموحات!! وارتواءُ آنجيلا من غيث جنسيًّا جَعلَها مُدمنةً عليه.. وهذا سوفَ يدفعُ بالغَيرَةِ في قلبِها نَحوَ مَزيدٍ مِنَ الاتّقاد. قدَّمَت له الكثيرَ منَ التنازلات ثمنًا لهذا الشَّبَع، فيما شرَعَ هو يَبتزُّها للحصول على الصَّلاحيَّاتِ منها والتَّفويضات، فتركت له هوامشَ للَّعِبِ، كمَا ظنَّتْ، بَعيدًا عنِ الخُطوطِ الحُمر. ولكنَّ الطَّبْخةَ التي راحَ يَطبُخُها غيث في مَطبَخِ استِقلاليَّتِه الاقتصاديَّة لم تُدركْها عقليَّةُ الأنوثة مَهما بلغَتْ من العَبقريَّة. هذا، وفي أقلّ من سَنَتَين، بدأتْ طلائعُ الفتُورُ الجنسِيّ تمدُّ العُنق.. بل عُزوفُ غيث عنها شَيئًا فشَيئًا حتى القَطيعَة. بدا لها أنَّه لم يعُدْ يَرغبُها.. وهي الغارقة في بَحرِ شَهَوَاتِ ثلاثينيَّاتِها اللاّهب. كأنّه، كمَا رَأتْ، عدَمُ تناغمٍ جنسِيٍّ يتفاقمُ بينهما، هي السَّاخنة وهو البارِدُ تدريجيًّا. خامَرَتها الشُّكوكُ بعَشيقةٍ ما.. فعزَمَتْ على نثرِ الأعيُنِ والأنوفِ وراءَه، ولكنَّها تعرفُ تمامًا أنَّ هذا لا يُجدي، وَما فاتَ فات وما هو آتٍ آت. في البدايةِ كانتْ لا تَعبَأ بحِيَلِه.. فهو ليسَ شَريكًا ولا مُساهمًا ولا داعمًا رافدًا.. والخِسَارَة لو وَقعَتْ فهي عليهما كلَيهما.. وما كتبَتهُ باسمِهِ ليسَ بالشَّيْءِ الكبير. ولكنَّ غَيث أحسَنَ إدارةَ اللّعبة جيِّدًا. لقد استفادَ من شركةِ آنجيلا بالخبرَة ومعرفةٍ بالسُّوق والعلاقاتِ الدِّناميكيَّة معَ العُمَلاء ورجالِ الأعمال والمُتعَهِّدين. وبواسطةِ قرُوضِهِ الشُّجَاعَةِ والحَكيمَة استطاعَ بسرعةِ البَرق أن يشتريَ عقاراتٍ في الضَّواحي الرِّيفيَّةِ للمَدينة، فبنى فيها البُيوتَ النَّموذجيَّة تناسبُ الموظّفين من الدَّرَجَةِ الوسَط، من ثلاث طبقاتٍ العيِّنَة: السُّفليّ والأرضِيّ والأوّل، وبجانبها حديقة ومَركن لسيَّارتَين. وهكذا شكَّلَ المَشروعان الأوَّلان من هذه البُيوت نواةَ شَركتِهِ العقاريَّةِ الهندسيَّةِ الجَديدة في كارولاينا. زَوجتُه آنجيلا هي الشَّريكةُ الأولى، والثاني مُتعَهِّد أميركيّ كبير، والثالث مهندسٌ معماريٌّ من أصل لبنانيّ. ثمَّ راحَ غيث يتكوَّنُ إقتصاديًّا بمَنهجيَّةٍ نظيفةٍ أنيقة، ومن غير أن يُرخِيَ بثقلِهِ على بزنس آنجيلا، وجَعلَ مكتبَهُ لشَركتِهِ الجَديدَة في الطّبَقةِ العاشرَة في مَبنًى قريبٍ من شَركتِها، وكانَ هذا مُريحًا لها. وما لم يكنْ مُريحًا لها البتة هو ابتعادُه عنها في الفِرَاش.. هي شابَّة وقادرة على إشباعِهِ وإشباع عَشرَةٍ مثله. ولكنَّها كانت تجهلُ أنَّ المُشكلة مَدفونة في مَخبَأٍ آخر.. إنَّها هناك.. تتفاعلُ بعُمقٍ.. في مَجموعةٍ من تراكماتٍ رافَقتْهُ منذ دَخلتِهِ الوَحيدَةِ إلى السِّجن، في خِدعَةِ بَيْعِ الأرضِ السَّائبَةِ في تلكَ البلدَةِ السُّفوحيَّةِ الكِسِرْوانيَّة.

وذاتَ يوم.. جاءَت آنجيلا على مَكتب غيث في شركتِه. وكانَ مَكتبُهُ ذا ديكوراتٍ بسيطةٍ أنيقة، والواجهةُ الزُجاجيَّة العريضَة مُشرفةً على قسمٍ جَميلٍ من أحياءِ المَدينة. ورأَتْ مِنظارًا تيليسكوبيًّا قربَ الواجهَة مُرتكزًا على قاعِدَتِهِ، كأنَّهُ حشَرَة خُرافيَّة عِملاقة، وعدَستُهُ موجَّهَة نحوَ السَّمَاء. سألته في عفَويَّتِها:

– ما هذا؟ مُشيرةً بيَدِها إلى التّيليسكوب.

– هذا تيليسكوب.. أحِبُّ أن أراقبَ النُّجومَ في اللّيل. أجابَها وهو يُشعلُ سيكارَة، وَدَنا ليَجلسَ قبالتَها.

– جَديدَة هذِه.. لم أعهَدْكَ هاويَ تيليسكوب! قالت، وَقد قامَتْ واقتربَتْ تحاولُ أن تنظرَ في عدَسَةِ المِنظار.

– هوايَتي منذ كنتُ مُراهقًا. كانَ لدَيَّ تيليسكوب قديم أعطاني إيَّاه خالي. وكنت أشاهدُ اللَّيلَ من خلالِه. كانَ هذا يُريحُني نَفسيًّا. لا تقدري يا آنجيلا أن تتَخيَّلي أيَّ نشوَةٍ أحِسُّ بها في مُراقبتِي النُّجُوم! تمَامًا كما ترتاحُ نفسيَّةُ المُصلِّي وهو يرفَعُ عَينَيه وقلبَه إلى السَّمَاء.

كانَ هذا الكلامُ فيلمًا مُتقَنَ السِّيناريو مِن مُخيِّلةِ غيث. ولكنَّ هذا المَكرَ المَفضوحَ لم يَنطلِ على آنجيلا قطّ. ثمَّ خرَجَت من مَكتبِهِ، فالتقَتْ في الرَّدهةِ بامرَأةٍ سَوداءَ تدخلُ إلى الحَمَّامات. فدَخلَتْ وراءَها خلسَةً، وسألتها هَمْسًا:

– أنتِ عاملةُ التَّنظيفات في هذا المَكان؟

– بلى يا سيِّدَتي. أجابتِ الامرَأةُ السَّوْداء.

– أنا زوجة السيِّد غيث. أريدُ خدمة بسيطَة منك شرطَ أن يبقى الموضوع سرًّا بيننا. قالتْ هذه الكلمات ارتجاليًّا من غير تَخطيط، وَأخرَجَتْ من جزْدانِها بضعَ مئاتٍ من الدُّولارات ودَسَّتها في يَدِها، وقالت:

– وهذِه إكراميَّتُكِ.

– شكرًا لكِ يا سيِّدَتي. قالتها بارتباك وهي تنظرُ المالَ في راحَتِها، وشَعرَتْ بأنَّ القضيَّة تتعلَّقُ بسيِّدِها. ثمَّ أضافت:

– أنا أعملُ هنا يا سيِّدَتي.. ولا أريد أن يَغضبَ منّي السيِّد غيث.

– لا تخافي.. أنا وَرَاءَك.. أوكاي؟!

– أوكاي. قالتْها الخادِمَةُ بارتباكٍ أيضًا.

– أريدُكِ أن تراقبي مكتبَ غيث.. أقصدُ زائِرَاتِه منَ النِّسَاء.. وخصوصًا حكاية التّيليسكوب هذا! وإكراميَّتُكِ مَحفوظَة سلفًا.. ومُضاعَفَة إذا أحسَنتِ في الأدَاء.

وأذعنَتِ الخادمة السَّوداء، لأنَّ الآمرَةَ هي زَوجَةُ السيِّدِ ولِيِّ نِعمَتِها، وقد دَفعَتْ لها مُسبَقًا. وفي حال انكشَفَ أمرُها فالسيِّدَة آنجيلا ضَمانتُها. ثمَّ همَسَتِ الخادمةُ لآنجيلا:

– أشعرُ يا سيِّدَتي أنَّ زَوجَكِ يَخونُك.. ولكن دَعيني آتي إليكِ بشَيْءٍ واضح.

ولمْ تكنِ الخادمةُ السَّوداءُ عابئَةً بغير عَمَلِها.. فإذا بها من خلالِ مُراقباتِها عن كثب، تكتشفُ هوامشَ في حَيَاةِ غيث.. لم تكن لتُلاحظَها قبلَ هذه المَهَمَّة. كانت تأتي ثلاثَ مرَّاتٍ في الاسبوع حتى الرَّابعة بعدَ الظّهر، ومرَّةً على الأقلّ في المَسَاء نزُولاً عندَ طلبِ غيث، حيث يَحتاجُها لخدمَةِ زُوَّاره في مكتبه أو غرفةِ الاجتماعات. وذاتَ مَسَاء.. وحوالي السَّاعةِ الثامنة.. كانَ غيث لوَحدِه في مَكتبِه. وَحضرَت امرأةٌ حَسناء ودَخلت إليه وأقفلَ البابَ وراءَهما. وكانتِ الخادمة في حالةِ جهوزيَّةٍ كاملةٍ لمراقبَةِ ما يحدُث. وبسُهولةٍ علِمَتْ أنَّ مباراةً جنسيَّةً من العِيَار الثّقيل كانتْ دائِرَةً في المَكتب. وبعدَ ثلثي السَّاعة.. أطلَّ غيث منَ الباب ليتأكَّد أنَّ لا أحَدَ في الرَّدْهةِ والخادمة منهمكة في عَمَلِها، فخرَجَتْ الحَسناءُ وعلى وَجهِها كَدَماتٌ ونزيفٌ طفيف فوق صُدغِها والقميصُ مُمَزَّق. والخادمةُ وراءَ البابِ تلتقِطُ المشهَدَ بعدَسَةِ عينٍ خبيثةٍ، لتُوثِّقَهُ في ذاكرَتِها هديَّةً لسيِّدتِها آنجيلا. كانتِ الحَسناءُ في حالةٍ مُزريَة. ومَرَّ أسبوعٌ بعدَها. وذاتَ مَسَاءٍ آخرَ أيضًا.. كانَ غيث في المَكتبِ ينظرُ في منظارِهِ التيليسكوبيّ نحوَ نوافذِ المَبنى المُقابل.. وكانَ البابُ مَفتوحًا. فدَخلَتِ الخادمة متظاهرةً بأنَّها تدخلُ إلى الحَمَّام للتّنظيف، ورَأته يَنظرُ

في تيليسكوبهِ باهتمامٍ وتوتُّر غريب، وَخرَجَت من المَكتب. ثمَّ فجأةً! شعرَتْ أنَّ غيث خرَجَ من مكتبِهِ في حالةِ اهتياجٍ تاركًا بابَه مفتوحًا، وهو يقول للخادمة: "سوفَ أعودُ بعد نصف ساعة". وكانت فرصَة ثمينة للخادمة فدخلَتْ إلى مَكتبِهِ تلقي نظرةً.. وبالتَّحديد في عَيْنِ التّيليسكوب الذي كان موَجَّهًا نحوَ نَوَافذِ البنايَةِ المُجاورة.. وهالَها ما رَأت! إنَّها الحَسناءُ نفسُها التي جاءَت إلى غيث منذ أسبوع وخرَجَتْ في حالةٍ مزرية! وكانتِ الحَسناءُ واقفةً في النّافذة عاريةً تنظرُ نحوَ عَينِ التّيليسكوب مباشرَةً كأنَّها تعرف أنَّ هناكَ وراءَ الزُّجاجِ في البنايةِ المُقابلةِ في الطّبقةِ العاشرة مَن يَنظرُ إليها. ارتَعدَتِ الخادمَة وتراَجَعت إلى الوَرَاء. خرَجَتْ منَ المَكتب.. ثمَّ عادَتْ لتنظرَ من جَديد.. فرأتِ الحَسناءَ هذه المَرَّة في غرفتِها تذهبُ وتجيءُ.. وفجأةً.. دخلَ غيث على المَشهَد! وَرَاحا يتطارحان الغَرَام في ساديَّةٍ مُخيفة، وَرَأتْ غيث يَضربُها بحِزامِ بنطالهِ ويَعقدُهُ حَولَ عُنُقِها، وهي مُستسلمةٌ له استِسلامًا كاملاً. أدركَتِ الخادمة ما يَجري. وبَعدَ يَومَين كانت قد زَفَّتِ الخَبَرَ المأساويَّ إلى سيِّدَتِها آنجيلا، بعدَ أن قبَضَت ثمَنَ صَيدِها الثمين هذا، فقالتْ لها:

– زَوْجُكِ يا سيِّدَتي مُتلصِّصٌ مُحترف.. وساديٌّ مُرعب.

وعندما أرادت آنجيلا مواجَهَة هذه الحَسناء المازوكيَّة في شقَّتِها المواجِهَة لمَكتب غيث، أدركَتْ أوَّلاً سِرَّ فتُورِهِ من نَحْوِها، بل عَجزَهُ عن الجنسِ الطَّبيعِيِّ السَّويّ.. وثانيًا مازوكيَّةَ هذه المرأة التي كانت عاشقةً مزمنة لسَاديَّةِ غيث المتوَحِّشَة. وغضبَ غيث عندما علِمَ بلقائِهما، فأعلنَ بنبرَةٍ حازمة:

– زَوَاجُنا انتَهَى يا آنجيلا. وأنتِ مجرَّد مُساهِمَة بينَ شُرَكائي. ومنذ الآن لكِ مُطلق الحُريَّة في أن تبقي أو أن ترحلي. ليسَ لكِ في ذمَّتي شَيْء.

وقبلَتْ آنجيلا بالحَقيقةِ المُرَّة.. وانسَحَبَتْ من شَركتِهِ وانفَصَلا غَيرَ آسفةٍ عليه. وتركَته لمَشاريعِهِ وتألُّقِهِ في دُنيا البزنس، وشَركةٍ تلِدُ سواها تحتَ يدَيه، وتلصُّصاتِهِ السَّاديَّةِ التي أدمَنَها حتى الجنون.

*****

وأمَّا النَّجم رقم اثنان في واقعَةِ ١٩ تشرين الأوَّل ٢٠١٥ فهي المُهندسَة الزُّخرُفيَّة والحَدَائقيَّة البارعة، ومالكة شركة J.DECO VIEW للتَّصميم الدَّاخلي، إيميه جَبُّور.

لقد بدأ الفصل الأوّل من مأساةِ إيميه يومَ لقائِها بصاحبِ الأحلامِ الجَامحَة غيث الرَّاسي في حفلة Party في منزلِها في عِزِّ المُراهقة. والفصلُ الثاني عندما هجرَها مَعَ الثريَّةِ الأميركيَّة آنجيلا كينيث غارسًا في أحشائِها حُبًّا كاذبًا، معَ تذييلٍ فصيحِ العبارَة: "غيث مَرَّ من هنا". ولكنَّ الفصلَ الثالث والأخير.. سيتوِّجُ خاتمَتَه الدّراميَّةَ الحَزينةَ يومُ ١٩ تشرين الأوّل. لقد اختَفى غيث كالسِّحر! تلاشى كحُلمِ يَقظةٍ جَميل. بيدَ انَّ الجَنين الذي كانَ جزءًا من هذا الحُلُم، هو الآنَ في طريقِهِ ليُصبِحَ واقعًا ملموسًا! إنَّها فضيحَة.. بل كارثة! كادَتِ الصَّدمة أن توديَ بحياةِ إيميه. وَأبقاها الانهيارُ العَصَبيّ أيَّامًا في المستشفى، ثمَّ خرَجَت مقتنعةً أنّه لا بدَّ لها من تنظيفِ جسَدِها من بقايا غيث الفاسدَة في بطنِها. ولكنَّ والدَتها رَفضَت قتلَ الجَنين. ولا أحدَ يدري بالضّبط لماذا تعلَّقت نفسُ وفاء والدةِ إيميه بهذا الولَد، مع كونِه خارجًا على القانون، وداخلاً إلى عالمِنا الكئيب نتيجَةَ لعبَةٍ كئيبَةٍ هي الأخرى. لماذا أبقَتْ وفاء على الصَبيّ؟ ما هيَ رهاناتُها؟ هل كانتْ تتوقَّعُ عودَةَ غيث عن غيِّهِ وضَلالِه؟ خصوصًا أنَّ اختفاءَه غامضٌ أخرس. هل كانت تؤمنُ بالقدَر وتحَوُّلاتِهِ الغريبَةِ المُدهشَة؟ هل كانت وفاء غيرَ مُقتنعَةٍ بقتل الجنين لاعتباراتٍ أخلاقيَّة أو دينيَّة؟ هل كانَ لدى وفاء مشروعٌ مُستقبليّ ما؟ إيميه لم تكن تعرف ما يجولُ في دماغِ والدَتِها بالضَّبط. ألَمُها من تجربةِ غيث كانَ الثِقلَ الذي جعلَها تذعنُ لمشورَةِ والدَتِها الحازمَة:

– ستذهبين لعند خالتِكِ في باريس.. وتلِدينَ هناك.. وساعةَ أقولُ لكِ تأتينَ وتُدخِلينَ الطِّفلَ إلى ميتَمِ راهباتِ العازاريَّة في برمَّانا.

وهكذا كان.

من حيث الشَّكل.. كانت إيميه مُطيعة لوالدَتِها في هذه القضيَّة. وفي طريق رحلتِها إلى مَدينةِ الفنِّ والابداع كانت أرجوحَةً من حبالِ أفكارٍ شتَّى. لقد رَمَتْ جروحَها ونزيفَها.. ودَفنَتْ تاريخَها في أرضِ الوَطَن، وأرادَت أن تَنتفِضَ كالعَنقاء في ولادَةٍ ثانية في وَطَنٍ

ثانٍ.. باريس. هكذا الجُروحُ النَّفسيَّة العظيمَة.. في المَرحلةِ الأولى يبدو الوضع قابلاً للتَّعافي السَّريع. ومعَ الزَّمَن، في أحيانٍ كثيرَة، الأمرُ مَعكوس! المرحلة الأولى هي السَّاخنة.. وهنا لا يشعُرُ المَجروح بالألم. وعندَما تبرُدُ الجِراحُ السَّاخنة تنتفِضُ الآلامُ كثائرٍ مارد. في طريقِها إلى باريس، ظنَّتْ إيميه، أنَّ بمقدورِها النِّسيان.. وهل هذا مَعقول؟! أتنسَى شبابَها المُدَمَّر.. وحُبَّها الوَحيدَ المَذبوحَ منَ الوَريدِ إلى الوَريد؟ هل تنسَى هروبَها وابتعادَها عن المعارف والاصدقاء إخفاءً لثمَرَةِ حُبٍّ عابثٍ مُجرم؟ هل تنسى هجرتَها القَسريَّةَ إلى باريس، التي قلبَتِ الأحلامَ إلى آلام.. والرَّبيعَ الرّائِعَ إلى خريفٍ حَزين؟! عَنَّ لها أن تقتلَ الجَنينَ لحظةَ وصولِها إلى باريس.. وتتمَرَّدَ على مشاريعِ والدَتِها الغامضَة. ولكن.. أتُراها تقتلُ نِصفَ تاريخِها.. الولَدُ وَثيقةٌ بنِصفِ سَعادتِها في هذه الدَّنيا؟! أتُراها تُبقيهِ وتُبقي على تعويذةٍ.. أو مسمار جحا ليُذكِّرَها بجريمَةِ غيث، وكيفَ داسَ على وجدانِها مثلَ حشَرَةٍ تحتَ قدَمِه؟ كانت إيميه جَبُّور مُدمَّرَةً جَسَديًّا ونَفسيًّا. وذروَةُ مرارةِ وَجَعِها اكتِشافُها أنَّها كانت تعيشُ سعادةً وَهميَّةً خادعَة. لم يكن يُحبُّها إذًا! كانَ مُمثّلاً بارعًا. أو انَّ الحُبَّ عندَه دَوَّارٌ قلاّبٌ كحال الصَّفقاتِ التِّجاريَّةِ ورهاناتِ البزنس؟ لم تثق الوالدَة وفاء بأنَّ ابنتَها ستفعلُ ما أمَرَتْها به.. فسَافرَت وراءَها إلى باريس، وقصرَتْ نفسَها على حراسةِ هذا الجَنين حتى خرُوجِه إلى الحَياة. وأخيرًا.. وَضَعَتْ إيميه مولودَها، وكانَ صبيًّا جَميلاً! واهتمَّتْ به لأشهر قليلة.. في فرَحٍ رماديٍّ غامض. ولكي لا تتَعلَّقَ بهِ إيميه كثيرًا، جاءَتْ بهِ وفاء إلى الوَطَن إلى مَيتم العازاريَّة في برمَّانا.. وهناكَ أطلقَتْ عليه اسمَ صَخر. وهكذا صارت تترَدَّدُ الوالدَةُ وَفاء إلى المَيتَمِ، معَ نمُوِّ الصَبيِّ، حتى كانتِ الكائنَ الوَحيد الذي كانَ صَخر يشعرُ بأنّه حَبلُ السرَّةِ الذي يشكلُه بهذا العالم. كأنَّها، أي وَفاء، كانت تزوِّدُ الفتى بشُحناتِ حنانٍ ومَحبَّة بما يكفيه ليَنطلقَ قاربًا ضَعيفًا شُجاعًا في بحارِ الحَياةِ وغدَرَاتِ أرياحِها العاتية. ولكنَّ وَفاء ماتت.. على الطّريقِ بينَ طفولةِ صَخر ومُراهقتِهِ الأولى. وأمَّا إيميه فبَدَأتْ حياتُها الجَديدة في باريس. و"كنسلَتِ" الحَنينَ من ملفَّاتِ الذَّاكرَة. ولادةُ الصَّبيّ جَعلَتْها امرَأةً..! ولكنَّ جراحةً بسيطةً أعادَتها عذراءَ كما كانت. هذا مجرَّد تمويهٍ شَكليّ.. لأنَّ التَغيُّراتِ المُخيفةَ التي حدثَت في أعماقِها جَعلَتها امرَأةً

مُضاعفًا! ولكنّ المظاهرَ العَينيَّة، وهكذا دائمًا، هي وثائقُ النّاس ومُستنداتُها الرَّسميَّة. وما يدورُ في ذاتِ الإنسان من صَخبٍ ولهيب.. لا يعني الآخرينَ بشَيْء.

ثمَّ بدأت إيميه تعملُ وتتابعُ دراستَها. عمِلت بائعَةً في السّوبرماركت، ونادلةً في المقاهي الليليَّة، ومندوبةَ مَبيعاتٍ في شركةٍ لأدواتٍ ومستلزمات منزليَّة، وسائقةَ شاحنةِ نقلٍ صغيرة في شركةِ خدَماتٍ لوجستيَّة، ومُدرِّسَةً للُّغةِ العرَبيَّة. وأنهَت شهادتَها الأولى الدَّبلوم في الهندسَةِ الدَّاخليَّة، وكان مشروعَ تَخرُّجِها مَركزًا للتسليةِ والتّرفيه في باريس. ثمَّ عادَتْ تُجاهدُ نحوَ الماجستير في هندَسَةِ الحدائق، وأحبَّتْ هذا الاختصاصَ أيضًا وحَصلَت على الشّهادة. ولكنَّ اللَّعنةَ التي رافقَتها كظلِّها، في تلكَ السَّنواتِ الطّويلة من تكوين نفسِها في فرنسا، هو مَجمَرَةُ الحِقدِ التي راحَ يتَّقِدُ لهيبُها يومًا بعدَ يوم. عاطفةٌ سَوداءُ فاحمَة كانت تَتشكَّلُ في رَحمِ الأيَّامِ واللّيالي، آخذةً نُسغَها من مَرَاراتٍ.. وآلامٍ تَثِبُ من كُوى الجُّرُوحِ الماضيَة، وتُجدِّدُ أرياشَها كالعَنقاءِ وتصبحُ واقعاً حاضرًا. بقيَ غيث كابوسَها الذي سَرَقَ منها فرَحَ التَمَتُّعِ الطَّبيعيّ بالحَياة. غيث الرَّاسي بالنّسبةِ إليها شَيطانٌ رَجيم! وإذا عادَتِ الأيّامُ وجَمَعَتها بهِ.. حَتَّى ولو كانَ عَجوزًا فوقَ سَريرِهِ، سوفَ تقتلُهُ وتحرمُهُ من بُقيا فرَحٍ ولو لساعات.. في دُنيانا هذه. كانَ تصميمُها ثابتًا لا رجوعَ عنه.. كأنَّه مَحَجَّتُها الأخيرَة.. أو إكليلُ أتعابِها.. بل كأنَّه التّاجُ الذي تريدُه أن يُتوِّجَ نَجاحَاتِها في فنِّها وَعَملِها. وهذه الشَّهوَةُ العارمَة للانتقامِ من غيث الرَّاسي، باتت جرثومةً في شَرَاييِنِها، وَحائلاً كبيرًا بينَها وبَينَ الحُبّ. عشّاقُها كثارٌ أيضًا في باريس كما في الوَطَن. وكانوا طابورًا، تمامًا كأيّامِ المُراهقة هناكَ حيثُ رَمَتِ الجميعَ واختارَت غيث. لقد صَدَّتِ الجَميعَ وقَصرَتْ حَيَاتَها لفنِّها ومِهنَتِها، وهيَ تعُدُّ الأيّامَ واللَّيالي في انتظاراتٍ طويلة، علَّها تسمَعُ خبَرًا عنه. ثمَّ مَرَّتِ الشُّهُورُ والسُّنون.. وعمِلَتْ إيميه في شَركةٍ لهندسَةِ الحَدائق في ضاحيةٍ باريسيَّة. وكانَ يعمَل في هذه الشَّركةِ مهندس معماريٌّ ذكيّ اسمُه جاك بلومار والدتُه من أصلٍ لبنانيّ. راحَ جاك هذا يتودَّدُ إليها وهيَ تصدُّه. ولم يمضِ على وجودِهما معًا في هذه الشّركةِ شُهورٌ قليلة حتى تعَهَّدَتِ الشَّركةُ مَشروعًا متكاملاً.. فيلاّ وَحَدائقَها في مدينةِ آجاكسيو في جزيرَةِ كورسيكا الفرنسيَّة السّاحرَة. وعهَدَتِ الشَّركةُ بالتَّرميماتِ إلى جاك والتَّزييناتِ الدَّاخليَّة والخارجيَّة

إلى إيميه. ثمَّ خلال شهرَين كانتِ الخرائط جاهزة، واستقلَّ جاك وإيميه الطّائرَةَ إلى مدينة آجاكسيو وشُطآنِها الجَميلة، لتنفيذِ الخرائطِ والتَّصاميمِ الرُّومنسيَّة في فيلاّ فسيحَةٍ قريبةٍ من المَدينة. وأمّا مالكُ هذه الفيلاّ فهو طبيبٌ نفسَانيّ شابّ ثريٌّ منَ الجَنوبِ الفرَنسيّ. وهكذا زَجَّ القدَرُ بإيميه مَرَّةً أخرى في ساحةٍ لم تُردْها.. وهي تنافسُ المِعماريِّ والطّبيبِ النّفسِيّ على خَطبِ ودِّها. ومعَ أنَّ سَنَتَي العمَل في مدينةِ آجاكسيو من أجمَل إيَّامِها في فرنسا.. فقد خاضت إيميه تجربةً مُربكَةً تختلفُ عن تلكَ التي معَ غيث أو ابنِ الوزير أو ما قبلَهُما. فالرَّجُلان ينتميان إلى ثقافةٍ أوروبيَّة. وهما كاملان على قياسِ أحلامِ أيِّ فتاةٍ باحثةٍ عن رَجُل. فالمِعماريُّ الذَكيّ، وهذا بدا واضحًا، يريدُ ارتباطًا مُستمرًّا على انَّه زوَاج، والطّبيبُ النفسيّ شابٌّ ثريّ يملكُ فيلاّ رَحبَة على شواطئِ جَزيرةِ الأحلام.. ولكنَّه لا يوحي بزوَاج! تجربةُ إيميه الأولى الفاشلة معَ غيث باتت عقدةً مُستَعصيَة. ولكنَّها امرَأةٌ في نهايةِ المطاف، والمرأةُ تحتاجُ عاطفيًّا وجنسيًّا، من حيث المبدأ، والثقافة الأوروبيَّة تُشَرِّعُ المَصَاريع. حتى الجنس.. باتت تراهُ إيميه في عدَسَةِ التَّصديعاتِ التي أحدَثَتها جُروحُها مشوَّهًا قذرًا. ولأنَّهُ لم يعدْ يُقنعُها الرَّجُلُ البَشَريّ.. فراحَت تعيشُ رَجُلاً مثاليًّا فَبركَتْه مخيِّلتُها الحسَّاسَة المُبدعَة في مجموعةٍ من رسوماتِها المائيَّةِ العَتيدَة.. ومعظمُها لرجَالٍ غامِضِين.. أو رَجُلٍ في ثلاثةِ أخيلةٍ في وضعيَّاتٍ إيروتيكيَّة. لقد استبدلَتِ الجنسَ الواقعيَّ بجنسٍ فنيٍّ خَيَاليٍّ حُرّ. وقد يكونُ هذا النّوعُ من الفانتازيا للجنس أعمقَ نشوةً وأبلغَ سعادة! وفي النِّهاية.. ستجدُ المياهُ ثقبًا تقدرُ أن تنفذَ منه خارجَ سجنِها. هذا والكثير من حالاتِ الابداع هي في عُمقِها تأزُّماتٌ عاطفيَّة جنسيَّة. مُحلّلو شخصيَّة جبران يقولون أنَّها مُشَكَّلة من أصنافٍ شتّى منَ العُقَد. المِعماريُّ والنَّفسانيُّ طائران فوقَ غصونِ الفاتنةِ الشّقراء إيميه جبُّور.. وهي ياسَمينةٌ وَحيدة في فراديسِ الرَّجُل الخَيَالِيِّ الذي راحت ترسُمُ فوقَ جغرافيا جَسَدِهِ أحلامَها ونشوَتَها التي تناسبُ مرارةَ نزيفِ الماضي. وكأنَّها بابتكاراتِها هذه تثأرُ لا شعوريًّا من الرُّجولةِ جَمعاء. تعرفُ إيميه أنَّ النَّفسانِيَّ يريدُها شَريكةَ اللذَّة.. بخلافِ المِعماريِّ الذي يشبه نصفَها بالنّسبة إلى المِهنة وإلى والدتِهِ ذاتِ الأصولِ اللُّبنانيّة. ثمَّ انتَهَى العمَلُ أخيرًا في آجاكسيو، ومرَّتِ التّجربةُ بسَلام، وعادَ المُبدعان إيميه وجاك إلى عملِهما في باريس. وما عتمَ أن أسَّسَ جاكَ شركةً هندسيَّة له مُستفيدًا من خبرَتِه والزّبائن

والمعارف في الشّركةِ حيث كان يعمَل مع إيميه. وطلبَ من إيميه أن تكونَ معه كشَريكة. قبلَتْ هي من فورِها لأنَّها قفزَة مِهَنيَّة مُغريَة.. من الرَّاتبِ الشَّهريِّ إلى شَريكة! مشروعان اثنان فقط.. أضْفَيَا على هذِهِ الشّركة النّاميَة سمعةً طيّبَة في الهندَسَة الزُّخرفيَّة. ودائمًا.. كانَ جاك مستمرًّا في إلحاحاتِه على إيميه جبُّور في موضوع الزَّواج. وذاتَ يوم.. دَعا جاك إيميه إلى تناول عشَاءٍ في أحَدِ الكازينوهات في الضَّوَاحي.. خلاّب الدّيكورات.. رومَنسيِّ الخِدمة والعُروض الموسيقيَّة والتَرفيهيَّة. وكانت إيميه متألّقَة في حُضورِها، في حلَّةٍ أوروبيَّة الملامِح والهندام. قبلَتْ دعوَةَ جاك.. وهي تحملُ له في قلبِها هديَّةً بعدَ رحلةِ معاناتِه الطّويلة معها. قالت له بعدَ أن رشفَتْ رشفة من كأسِها:

– جاك.. أنا موافقة.

جَحظَتْ عَينا جاك.. وسألَها متلهّفًا:

– أتقصُدين.. أتقصدين..؟

– بلى.. أقصدُ..

– أن نتزَوَّجَ؟!

– ممم.

ولم يُصدِّق المِسكين أذنَيه.. فنَهضَ من مكانِهِ وشدَّها بيَدِهِ.. وراحَ يرقصُ معها على النَّغماتِ الهادئَة، وهو يشدُّها إلى صَدرِهِ بقوَّةٍ ويهمسُ في أذنِها كلماتٍ تنمُّ عن وَلَهٍ حقيقيٍّ صادق. وسَوفَ تكتشفُ إيميه عظَمَةَ حبَّهِ لها بعدَ أشهُرٍ من حَياةٍ كأنَّها النَّعيم. وخلال هذه الأشهُر كانَ التّخطيط للزَّواج على قدَمٍ وساق. ثمَّ ذات يوم.. وهما في قمَّةِ السَّعادَة.. تهزُّها المفاجأةُ المأساة! والتي استَحضرَتْ لعَنَاتِ السّنواتِ الماضية جَميعَها استِحضارًا مُخيفًا. لقد سقطَ جاك من الطّبقَةِ الثالثة في ورشَةِ المشروع ومات من فوره! فغاصَتْ روحُها في نفَقٍ أشدّ قتامًا من تجربتِها الأولى معَ غيث. كأنَّ السَّعادَةَ حَديقةٌ مَسحُورة خَجِلةٌ من إيميه جَبُّور.. فما إن تصلُ إلى بوَّابتِها حتى تختفيَ وراءَ سُحُبِ

الضبّاب. لقد كتَبَتِ الأقدارُ لبَعضِهِم ألاّ يذوقوا من دُنيانا غيرَ الويلات. وهكذا انقلبَ النَّعيمُ فجأةً إلى جَحيم. وبعد مرورِ أسابيع على وفاةِ جاك بلومار الصَّادمة، جاءَ رجلٌ إلى الشَّركةِ كانت قد رأتْهُ إيميه في الدّفن، وطلبَ الانفرادَ بها. جلسَ مقابلَها على الكنبَةِ وأشعلَ سيكارتَه، وقالَ لها بلا مقدِّمات:

– أنتِ الآنسة إيميه جَبّور خَطيبَة جاك بلومار وَمهندسة ديكور وحَدائقيَّة. أنا مُحامي الشّركة. لماذا لم ترسلي في طلبي بعدَ وفاة جاك؟

– سيِّدي.. لم نخرجْ بعد من أحزانِنا. وأنا شخصيًّا لا زلت غير مصدِّقة لهذا الكابوس.

– حسنًا. ما على الرَّسول إلاّ البلاغ. في الحَقيقة كانَ جاك يريدُ أن يزفَّ لك هذا الخبَر بنفسِه.. المِسكين.. حرمَه القدَرُ من أمنيتِهِ هذه...

– ماذا هناكَ أيُّها المُحامي؟

– أنتِ الآنَ مالكةُ هذِهِ الشَّركة. لقد سَجَّلَها باسمِكِ قبيل وفاتِه بأيّام. وأنتِ الآنَ حرَّة التصرُّف بها من الناحية القانونيَّة. وأنتِ مواطنة تحملين الجنسيَّة وتنطبق عليك الحُقوق والواجبات كأيِّ مواطن فرنسيّ. مبروك آنسَة إيميه.. أرجو أن توَقِّعي لي على أوراق تنفيذِ الوصيَّة. وأنا حاضر لأيِّ مساعدَة.

وسحَبَ المُحامي من حَقيبتِه ملفًّا.. وقال:

– إنّها مَجموعة من النَّصائح تركَها لكِ جاك، تحسُّبًا للمكروه الذي حَلَّ به.. وتُعطيكِ الصَّلاحيَّة المُطلقَة في العَمَلِ بالشّركةِ ما تُريدين.

ومنذ تلكَ اللّحظة أصبَحَت إيميه جَبُّور مالكة شركة B.DECO VIEW التي أسَّسَها جاك بلومار، عَريسُها العَتيد الفقيد. وهكذا انطلقَ العَهْدُ الثالثُ من حَياتِها العابثةِ الغريبة. وهذه الشَّركة ستنمو وتتمدَّد.. وسوفَ يكونُ لها فرعٌ ناجحٌ في بيروتَ أيضًا بُعَيدَ اغتيال رَفيق الحَريري، تحتَ اسم: J.DECO VIEW.

*****

روجين آتشي.

أو الرّاقصة والمغنِّيَة المُثيرَة.. روجا.

كانت صدفة..! تصويرُ لقطَة بَسيطَة في فيلمٍ وثائقِيٍّ من دقائق قليلة، القطبَةُ المَخفيَّة التي شَكَلَتْ ماضي التُركيَّة الجَميلة روجين بمستقبلٍ فنيٍّ كادَ أن يكون باهرًا نظيفًا شريفًا.. لولا أن اصطادَتْها نُشَّاباتُ الظَّلامِ الخبيثة. مُصوِّرُ المَشهد في الفيلم في ذلكَ اليَوم التّائه من المُراهقةِ البائسَة، وإثرَ خُرُوجِها من السِّجن، كانَ مُصوِّرًا فوتوغرافيًّا أيضًا، ويتحَرَّى أخبارَ الجَمَالِ أنّى وُجدَ ليُظهِّرَهُ لوحاتٍ أخَّاذةً في سِحرِ عدَسَاتِه المبدعة. وهذا المُصوِّر صديقٌ لقَوَّادٍ خبير.. رفعَتْ. وليسَ رفعَت كالقَوّادين العاديِّين! بل هو نَوعٌ ذو خصوصيَّةٍ وتميُّز.. هو قوَّادٌ "للفَنِّ الغانِي" أو للفنَّاناتِ الغانيات. فُتِنَ المُصوِّرُ بروجين أثناءَ تصويرِهِ إيّاها في الفيلم في أحَدِ شوارع بيروت. فعرَضَ عليها أن يأخذَ لها مجموعة من الصُّوَر وأعطاها المالَ سلفًا.. فقَصَّتْ عليه عندئذٍ مأسَاتَها كاملة طالبةً المُساعدَة. فجاءَ بها المصوّرُ إلى منزلِهِ في فرن الشبّاك، وأطعَمَها واستَحمَّت، ثمَّ أدخلَها إلى غرفةِ التَّصوير في الطّبقَةِ الثانية، وجعلَها ترتَدي ما يناسبُها ووَضَعَ لها التَبَرُّجات، ثمَّ راحَ يُصوِّرُها في وَضعيّاتٍ متنوِّعَة، وكلّ مجموعة من الصُّوَر في لباس مختلف. ثمَّ اتّصَلَ من فورِه بصديقِهِ رفعَت.. وحضرَ هذا الأخير في اليومِ التّالي ورأى روجين والصُّوَر.. وكانتِ الصُّوَر مُذهلة! سألَ رفعَتْ روجين:

– أينَ تعيشين يا روجين؟

– أنا مقطوعَة من الشَّجَرَة. أحتاجُ لمَكانٍ أبيتُ فيه.. وأحتاجُ أيضًا لعَمَل. قالت متوسِّلة.

– حسنًا يا روجين.. لقد حَصَلتِ الآنَ على وَظيفة. ستعملينَ معنا براتبٍ يُعجبُ خاطركِ. ولكن في المرحلةِ الأولى سنعلِّمُكِ الغناءَ والرّقص.

فأجابت روجين من فورِها:

– أنا أرقصُ جيِّدًا يا أستاذ.

وقامت تهُزُّ له خصرَها، وتخطو الخطواتِ المُغريَة التي تعلَّمتها في السِّجن على يدَي رَاقصَةٍ سَجينة. وكانت حركَاتُها تنمُّ عن فطرَةٍ في الدّلَعِ والاغواء. كانت بالنِّسبةِ إلى رفعَتْ كنزًا.. بل فَتحًا عَظيمًا! وساعدَتْها بَحَّةُ صَوتِها في الغناءِ الغربيِّ الذي أجادَتْهُ دونَ أن تتعلَّمَ اللُّغَة. وهكذا مُسِخَتْ روجين آتشي على يدَيِ الدَّاهيَة رفعَتْ روجا الفنّانة المُثيرَة، وصاحبةَ الرَّقم العالي في الصَّفقاتِ السِّريَّة. لقد أصبَحَت، وخلال سنَتَين من الزَّمان طبقًا لذيذًا دَسِمًا على مائدةِ الشَّهَواتِ اللاّهبَة لعِليَةِ القَوم. وأسدَلَتْ نجُوميَّتُها الزَّاغبَة السِّتارَةَ على الفصولِ الشَّريفة من حياتِها. والجمالُ أحيانًا كثيرَة ليسَ حِليَةً البتّة، بل هو عبدٌ ماردٌ قاتلٌ لصاحبِهِ. لقد أصبَحَت سلعةً.. ولكن غالية الثّمَن. الكذبُ والرِّياءُ والقذارَة هي فَضَاآتُ صَولاتِها "الفنِيَّة المتألِّقة". وهَرولَتِ الأيَّامُ والسُّنون أيضًا.. وسَريعَةَ الخُطى. والنّاسُ رُكَّابٌ عندَ محطّاتِ الزَّمَن تقلُّهُم قاطِرَاتُ الأحداثِ إلى المَحتوم والمَقسوم.. ولا شيءَ غيرَ ذلك أبدًا. وهناك.. في محطَّةٍ ما تتقارَبُ السِّكَكُ الحَديديَّة وتتواجَهُ شَبابيكُ القاطراتِ وتتصَافحُ الوَجوهُ والحِكايات. وهذا التّلاقي.. ربَّما.. هو الذي راهَنَتْ عليهِ وفاء والدَةُ إيميه جَبُّور.. فكانَ اللّقاءُ الحَتمِيُّ بينَ روجا والسِّياسيِّ الغريب الأطوار غسَّان الجُردي. غسّان من عِليَةِ القَوم.. وروجا خادمةٌ على مائدَةِ مزَاجِه ونزَوَاتِه. والعقدةُ التي رَبَطَتِ الحَبلَين هي القوَّادُ رفعَتْ.. وقبَضَ إكراميَّةً "حرزانة" من غَسَّان سلفًا. ومنذُ اللَّيلةِ الأولى في قبوِ اللَّذَّاتِ فُتِنَ غسَّان بروجا لدرَجة الهوَس.. فضَيَّقَ عليها بعد ذلكَ وأغدَق. في البداية كانَ حُجّابُ رفعَت يوصلونَها إليه في شقّتِهِ السِريَّةِ في بلدةِ البربارة السَّاحليّة.. قبوِ المزاج. ثمَّ بَقيَت روجا بعدَ ذلكَ في صُحبَةِ غسَّان الجردي سنواتٍ طويلة.. وكانتْ لقطعةٍ من العُمْر خَليلتَه المُدَلَّلة.. دَلالاً يُشبهُ تمامًا "دَلالَهُ" لمُنير سويدان وزَوجتِه و"نجلِهِ" صَخر. وهكذا سيكونُ غسَّان الجُردي بدَورِهِ في زَمَنٍ ما، تلكَ المحَطَّةَ التي ستجمَعُ قِطارَين مُتوازيِين متباعِدَين هما روجا وَصَخر. وَروجا سوفَ تصِلُ إلى قمَّتِها.. في تمثيلِ مأسَاتِها كنادِلةِ مآدب لذَّةٍ لعِليَةِ القَوم. كانَ لديها الكثير من المال.. وادَّخَرَتْ منه الكثير.. ولَكنَّها عادَتْ فأنفَقَتْهُ على سَفَريَّاتِها وتَرْحالِها في بلادِ الله الواسعَة. وكانتْ تعطي الجَمعيَّاتِ الإنسانيَّةَ أيضًا!! لاستِغفارِ السَّمَاءِ.. ربَّما! كانَ السَّفَرُ الهامشَ الوَحيدَ الذي لجَأتْ إليه هرَبًا منَ النَصِّ الدّراميِّ الحَزين الذي تعيش. مِهنتُها الظّلاميَّة هذه منَعَتها من الظّهور الإعلاميّ.. إنّها

ملاكُ اللذَّة.. وهي الشّبَحُ الجميل الذي يَتجَلَّى لسياسِيٍّ أو اقتِصاديٍّ أو متنفِّذٍ استجابةً لتبرُّعاتِهِ في جَيبِ الوَسيط رفعَت. لقد أصبَحَت روجا أسطورةَ عالم الظّلمَة. والعلاقة بين غسّان الجُردي وروجا مُستمرَّة.. والحاجَة مُتبادَلة بينَ الاثنَين.. هو في ألاعيبِهِ تحتَ الطّاولة، وهي في ظهيرٍ حامٍ في المُلمَّات. ثمَّ عادَتِ السُّنون تكرُّ كرُورًا آخذةً من عُمْرِ البَشَرِ مؤُونتَها.. وبدأ ربيعُ الشّبابِ يُصافحُ الخريف.. وآنَ أوانُ وَداعِ السِّحرِ والجَمال. ولكنَّ غسّان بقيَ مُخلصًا لرُوجا يزورُها مرَّاتٍ في السَّنة ويُعطيها المال عندَ الحاجَةِ بلا حساب. وهكذا عشرون عامًا كانت كافيةً لتطفئَ توَهُّجاتِ الأسطورَة روجا، وتفتحَ لها بَوَّابةَ حديقةِ الوَحشَةِ والاعتزال. وذاتَ يوم.. وفي شتاءٍ بارد.. طلبَ غسّان من شبَحِهِ الشُّجاع صَخر سويدان أو يوصِلَ مبلغًا من المال في شيك إلى روجا في شقَّتِها في حرش تابت. وكانَ المَطرُ في ذلِكَ المَسَاءِ غزيرًا. ركَنَ صَخر سيَّارَته قربَ بنايةٍ لا شَيءَ مُضيئًا فيها غير غرفةٍ واحدَة هي غرفة الجُّلوس عندَ روجا، وهي المَرَّةُ الأولى التي يذهبُ فيها صَخر إلى شقَّتِها. ثمَّ وثبَ بسرعةٍ إلى الرَّدهةِ واستقلَّ المصعَدَ إلى الطبقةِ الرّابعة من ذلكَ المَبنى الفَخمِ الكبير. قرعَ جرسَ الباب ففتحَت له امرأة ستِّينيَّةٌ، تُزيِّنُ شَعرَها الخُصْلاتُ البَيضاء، والمَلامحُ تَشِي بجَمَالٍ آسرٍ أكسَبَتْهُ السُّنونُ هَيبَةً. بَدَتْ رُوجا لصَخر في عَبَاءَتِها الصُّوفيَّةِ التي غَطَّتْ جسَدَها من الكتِفَين حتّى القدَمين، كأنّها أميرَةٌ متَحدِّرَة من سُلالةٍ ملكيَّة منقرضة... وكانَ هذا اللّقاءُ هو الأوّل بينَ صَخر سويدان وروجين آتشي. هذا والاثنان مشكولان بحَيَاةِ غيث الرّاسي بواسطةِ مأساة.. لكلٍّ منهما مأساتُه.. والاثنان من نتاجِ عَبَثاتِ ووُصوليَّةِ غيث المُفرطة في الذَّاتيَّة، والتي تدوسُ على ذَوَاتِ الآخرين غيرَ عابئةٍ بتألُّم الإنسانِ فيها.